

التكليف السابع المنهجية

اسم الطالبة: زكية السلمي
المقرر: دراسات نقدية
المرحلة: دكتوراه فلسفة الإدارة
جامعة ميدأوشن



الرسالة محل النقد

أثر تطبيق إدارة المخاطر في تحقيق الفاعلية التنظيمية في شركات الأدوية الأردنية المنهجية

لا تُعد المنهجية مجرد مجموعة من الإجراءات التقنية التي يتبعها الباحث، بل تمثل المنطق الذي تنتظم من خلاله عملية إنتاج المعرفة العلمية. فالمنهج هو الإطار الذي يربط بين مشكلة الدراسة، وأهدافها، وأسئلتها، ووسائل جمع البيانات، وآليات تحليلها للوصول إلى نتائج يمكن الوثوق بها.

ومن هذا المنطلق، فإن نقد المنهجية لا يقتصر على التحقق من صحة اختيار المنهج أو سلامة الأدوات، وإنما يمتد إلى مساءلة مدى الانسجام الداخلي بين جميع مكونات التصميم البحثي، ومدى قدرتها على إنتاج معرفة تتسم بالصدق والمنهجية. وتسعى هذه القراءة النقدية إلى تقويم المنهجية بوصفها بناءً معرفياً متكاملًا، يبدأ باختيار المنهج، ويمر بمجتمع الدراسة والعينة وأداة القياس، وينتهي بسلامة التحليل الإحصائي وقوة الاستدلال العلمي.

تمثل المنهجية الإطار الفلسفي الذي يوجه عملية إنتاج المعرفة العلمية، فهي ليست مجموعة إجراءات تقنية، وإنما منظومة فكرية تحدد كيف نُفهم الظاهرة، وكيف نُختار الأدلة، وكيف تُبنى التفسيرات. ومن ثم فإن نقد المنهجية لا يقتصر على فحص سلامة الإجراءات، بل يمتد إلى مساءلة مدى قدرة التصميم البحثي على إنتاج معرفة أصيلة وقابلة للتفسير والتعميم.

اختيار المنهج ومدى ملاءمته لمشكلة الدراسة

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي؛ بهدف تحليل أثر تطبيق إدارة المخاطر في تحقيق الفاعلية التنظيمية في شركات الأدوية الأردنية، وهو اختيار يتوافق مبدئياً مع طبيعة الدراسة التي تسعى إلى وصف الظاهرة وتحليل العلاقة بين متغيراتها، والإجابة عن أسئلة الدراسة واختبار فرضياتها.

ومن الناحية المنهجية، فإن اختيار المنهج الوصفي التحليلي يبدو مناسباً لكون الدراسة لا تهدف إلى إحداث تغيير تجريبي في المتغيرات، وإنما إلى قياس واقع الممارسة وتحليل تأثيرها داخل بيئة تنظيمية قائمة. إلا أن القراءة النقدية تكشف أن الدراسة اكتفت بتبرير المنهج من خلال ملاءمته للأهداف، دون تقديم مناقشة منهجية تفسر لماذا استبعدت المناهج الأخرى، مثل المنهج المختلط أو الدراسات الطولية، رغم أن موضوع إدارة المخاطر يرتبط بعمليات ديناميكية تتغير مع الزمن. كما أن العلاقة السببية التي تناولتها الدراسة استندت إلى تصميم وصفي ارتباطي، وهو تصميم يسمح باكتشاف العلاقة الإحصائية، لكنه لا يكفي وحده لإثبات السببية بصورة قطعية.

أرى أن اختيار المنهج الوصفي التحليلي كان مناسباً لطبيعة الدراسة، إلا أن الباحثة تعاملت معه بوصفه خياراً إجرائياً أكثر من كونه اختياراً فلسفياً. وكان من الأنسب تبرير استبعاد المناهج البديلة، وبيان حدود قدرة المنهج الوصفي على تفسير العلاقات السببية، حتى يصبح القرار المنهجي قائماً على رؤية علمية واضحة لا على المؤلف البحثي فقط.

مجتمع الدراسة والعينة بين التمثيل الإحصائي والتمثيل المعرفي

حددت الدراسة مجتمعها في العاملين بالإدارات العليا والوسطى في شركات الأدوية الأردنية، ثم اعتمدت العينة العشوائية الطبقية، وأرسلت (383) استبانة، واستبعدت (11) استبانة غير مكتملة، لتصبح العينة النهائية (372) استبانة صالحة للتحليل، بنسبة استجابة بلغت (97.1%). كما استندت في تحديد حجم العينة إلى جدول كريجسي ومورغان وهو إجراء منهجي متعارف عليه في البحوث الكمية. ويُحسب للدراسة أنها قدمت وصفاً واضحاً للخصائص الديموغرافية للعينة من حيث الجنس والعمر والمؤهل العلمي والخبرة والمسمى الوظيفي، مما يساعد القارئ على فهم طبيعة المشاركين وحدود تعميم النتائج. إلا أن القراءة النقدية تشير إلى أن قوة العينة لا تُقاس بحجمها فقط، بل بقدرتها على تمثيل جميع وجهات النظر ذات العلاقة بالظاهرة. وقد اقتصرَت الدراسة على القيادات الإدارية، في حين أن تطبيق إدارة المخاطر يمتد أثره إلى المستويات التشغيلية، التي قد تقدم تصورات مختلفة حول واقع التطبيق. كما لم تناقش الدراسة احتمال وجود تحيزات الاستجابة الناتجة عن الاعتماد على التقارير الذاتية للمبحوثين، وهو جانب قد يؤثر في دقة النتائج.

إن اقتصار العينة على القيادات الإدارية يعزز فهم القرارات الاستراتيجية المتعلقة بإدارة المخاطر، لكنه يقلل من تمثيل الممارسات التشغيلية اليومية، مما قد يؤدي إلى تفسير جزئي للفاعلية التنظيمية.

أداة الدراسة

اعتمدت الدراسة الاستبانة أداة رئيسة لجمع البيانات، وقامت الباحثة بتطويرها بالاستناد إلى الأدب النظري وعدد من الدراسات السابقة، ثم عرضتها على مجموعة من المحكمين للتأكد من صدق محتواها، قبل تطبيقها على مجتمع الدراسة. ويعكس هذا الإجراء التزاماً بمنهجية بناء أدوات القياس في الدراسات الكمية، إذ لم تعتمد الباحثة أداة جاهزة بصورة مباشرة، بل سعت إلى مواءمتها مع طبيعة البيئة البحثية. غير أن القراءة النقدية تثير تساؤلاً منهجياً مهماً، وهو: هل تستطيع الاستبانة وحدها قياس واقع إدارة المخاطر بوصفها ممارسة تنظيمية معقدة؟

فإدارة المخاطر ليست مجرد اتجاهات أو تصورات لدى العاملين، وإنما تشمل ممارسات فعلية، وقرارات استراتيجية، وآليات رقابية، وثقافة تنظيمية، وهي جوانب قد لا تستطيع الاستبانة وحدها التعبير عنها بصورة كاملة. وكان من الممكن تعزيز قوة الأداة من خلال دمجها مع المقابلات أو تحليل الوثائق التنظيمية أو الملاحظة، بما يوفر تثليثاً منهجياً يزيد من عمق التفسير ويحد من تحيزات القياس.

يثير الاعتماد على الاستبانة سؤالاً منهجياً مهماً: هل تستطيع أداة كمية قائمة على الإدراك الذاتي أن تعكس واقع إدارة المخاطر بوصفها عملية تنظيمية معقدة تتداخل فيها القرارات والسلوكيات والثقافة التنظيمية؟

الصدق والثبات

حرصت الدراسة على التحقق من صدق الأداة وثباتها قبل تطبيقها على العينة النهائية، حيث عرضت الاستبانة على مجموعة من المحكمين للتحقق من صدق المحتوى، كما استخدمت معاملات الثبات المناسبة للتأكد من اتساق فقرات الأداة، وهو ما يعكس التزامًا بالإجراءات المنهجية المتعارف عليها في البحوث الكمية. ومن الناحية المنهجية، فإن التحقق من الصدق والثبات يمثل خطوة أساسية لضمان أن الأداة تقيس ما يفترض أن تقيسه، وأن نتائجها تتسم بالاستقرار إذا أعيد تطبيقها في ظروف مشابهة. غير أن القراءة النقدية تشير إلى أن الدراسة ركزت بصورة كبيرة على الصدق الإحصائي، بينما لم تناقش بصورة كافية الصدق المفاهيمي؛ أي مدى قدرة فقرات الاستبانة على تمثيل مفهوم إدارة المخاطر بكل أبعاده التنظيمية والاستراتيجية. كما لم تناقش الدراسة ما إذا كانت البيئة التنظيمية في شركات الأدوية الأردنية قد تفرض أبعادًا خاصة لإدارة المخاطر تختلف عن الأدبيات التي استندت إليها الأداة.

جمع البيانات

اعتمدت الدراسة على الاستبانة باعتبارها الأداة الرئيسة لجمع البيانات، وتم توزيعها على أفراد العينة المستهدفة، ثم استبعاد الاستبانات غير المكتملة، وتحليل الاستبانات الصالحة فقط، وهو إجراء يعكس حرص الباحثة على جودة البيانات قبل إدخالها في التحليل الإحصائي. وتظهر الدراسة تنظيمًا جيدًا في خطوات جمع البيانات، إلا أن المنهجية لا تقتصر على وصف الإجراءات، بل تتطلب أيضًا مناقشة الظروف التي جُمعت فيها البيانات، ومدى تأثيرها في صدق الاستجابات. فالاعتماد على الاستجابات الذاتية قد يؤدي إلى ما يعرف بتحيز الرغبة الاجتماعية، حيث يميل بعض المشاركون إلى تقديم إجابات تعكس الصورة المثالية للمؤسسة أكثر من الواقع الفعلي. كما لم تتوسع الدراسة في مناقشة أثر توقيت جمع البيانات أو الظروف التنظيمية المحيطة بعملية التطبيق، وهي عوامل قد تؤثر في اتجاهات المشاركين.

التحليل الإحصائي

استخدمت الدراسة برنامج SPSS الإصدار 26 في تحليل البيانات، واستعانت بمجموعة من الأساليب الإحصائية الوصفية والاستدلالية التي تتناسب مع طبيعة أهدافها وفرضياتها، بما في ذلك المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، واختبارات الارتباط والانحدار. ويمثل اختيار هذه الأساليب انسجامًا مع طبيعة المنهج الكمي الذي اعتمدته الدراسة، كما أن توظيفها أسهم في اختبار الفرضيات بصورة منظمة.

إلا أن القراءة النقدية تميز بين إجراء التحليل الإحصائي وتفسير نتائجه. فالدراسة نجحت في استخدام الاختبارات المناسبة، لكنها لم تتوسع في مناقشة المعنى الإداري للنتائج، ولم تربط بصورة كافية بين الدلالة الإحصائية والدلالة التنظيمية. كما أن الاعتماد على المؤشرات الرقمية وحدها يجعل النتائج أكثر وصفًا للعلاقة منها تفسيرًا لأسبابها.

على الرغم من سلامة الاختبارات الإحصائية المستخدمة، فإن الدراسة تعاملت مع التحليل الإحصائي باعتباره نهاية للعملية البحثية، بينما يُفترض أن يكون بداية للتفسير العلمي. فالدلالة الإحصائية لا تفسر سبب العلاقة بين المتغيرات، وإنما تثبت وجودها فقط، الأمر الذي يفرض على الباحث توظيف النظرية الإدارية في تفسير النتائج وعدم الاكتفاء بالمؤشرات الرقمية.

تكامل المنهجية مع أهداف الدراسة وأسئلتها

تُظهر الدراسة توافقًا عامًا بين مشكلة البحث وأهدافه وأسئلته والمنهج المستخدم، حيث جاء اختيار المنهج الوصفي التحليلي، والعينة، والاستبانة، والتحليل الإحصائي في إطار يخدم الهدف الرئيس للدراسة، وهو قياس أثر تطبيق إدارة المخاطر في تحقيق الفاعلية التنظيمية. غير أن التكامل المنهجي لا يعني فقط انسجام الإجراءات، بل يعني أيضًا قدرة هذه الإجراءات على إنتاج تفسير علمي عميق للظاهرة. ومن خلال القراءة النقدية، يتضح أن الدراسة ركزت على قياس العلاقة بين المتغيرات، لكنها لم تتوسع في تفسير الآليات التي تجعل إدارة المخاطر تؤثر في الفاعلية التنظيمية، كما لم تناقش احتمال وجود متغيرات وسيطة أو معدلة يمكن أن تغير طبيعة هذه العلاقة. ومن هنا، فإن المنهج المستخدم نجح في تحقيق أهداف الدراسة المعلنة، لكنه ظل داخل الإطار التقليدي للبحوث الوصفية الكمية، ولم ينتقل إلى مستوى بناء نموذج تفسيري أكثر عمقًا.

تكشف القراءة النقدية أن جودة المنهجية لا تتحقق من خلال سلامة الإجراءات منفردة، بل من خلال تكاملها مع الإطار النظري وصياغة المشكلة وتفسير النتائج. فالمنهج الذي لا ينسجم مع الأساس النظري للدراسة، أو لا يفسر نتائجها في ضوء النظرية، يبقى منهجًا صحيحًا من الناحية الإجرائية، لكنه محدود من الناحية المعرفية. ومن ثم فإن قوة البحث لا تُقاس بعدد الاختبارات الإحصائية المستخدمة، وإنما بقدرة المنهج على بناء تفسير علمي متماسك للظاهرة المدروسة.

بعد تحليل المنهجية بمختلف مكوناتها، يتبين أن الدراسة بُنيت على تصميم منهجي متماسك من حيث اختيار المنهج، وتحديد مجتمع الدراسة، والعينة، وأداة القياس، والتحقق من الصدق والثبات، واستخدام الأساليب الإحصائية المناسبة. كما يظهر أن الباحثة التزمت بالإجراءات المنهجية المتعارف عليها في البحوث الإدارية الكمية، وهو ما منح الدراسة مستوى جيداً من الانضباط العلمي. إلا أن القراءة النقدية تكشف أن قوة الإجراءات المنهجية لم يصاحبها بالدرجة نفسها تعميق في البناء التفسيري. فقد ركزت الدراسة على إثبات العلاقات الإحصائية بين المتغيرات، بينما كان من الممكن أن تتوسع في تفسير الآليات التنظيمية التي تجعل إدارة المخاطر تؤثر في الفاعلية التنظيمية، وأن تناقش حدود المنهج المستخدم وما لا يستطيع تفسيره. كما يلاحظ أن الدراسة اعتمدت على تصميم كمي وصفي تحليلي، وهو تصميم مناسب للإجابة عن أسئلة الدراسة، لكنه لا يسمح بفهم الأبعاد النوعية المرتبطة بثقافة إدارة المخاطر أو التفاعلات التنظيمية التي قد تفسر النتائج بصورة أعمق. ومن منظور الدراسات النقدية، فإن المنهجية لا تُقَيَّم فقط بمدى صحة تطبيقها، وإنما أيضاً بقدرتها على إنتاج معرفة جديدة، وكشف أبعاد لم تكن ظاهرة في الدراسات السابقة.

أرى أن الدراسة نجحت في بناء منهجية متماسكة من الناحية الإجرائية، لكنها ما زالت أقرب إلى المنهجية التفسيرية المحدودة، لأنها ركزت على قياس العلاقة أكثر من تفسيرها، وعلى التحقق من الفرضيات أكثر من مساءلة الافتراضات التي بُنيت عليها.

العنصر المنهجي	نقاط القوة	الملاحظات النقدية	صوت الباحثة
اختيار المنهج	اختيار المنهج الوصفي التحليلي يتوافق مع أهداف الدراسة	لم تبرر الدراسة استبعاد المناهج الأخرى، مثل المنهج المختلط أو الدراسات الطولية	كان من الأفضل مناقشة فلسفة اختيار المنهج وحدوده العلمية
مجتمع الدراسة والعينة	حجم العينة مناسب ونسبة الاستجابة مرتفعة، مع استخدام العينة العشوائية الطبقية	اقتصرت العينة على القيادات الإدارية، ولم تشمل المستويات التشغيلية	توسيع العينة كان سيمنح الدراسة تمثيلاً معرفياً أعمق
أداة الدراسة	تطوير الاستبانة استناداً إلى الأدبيات وتحكيمها قبل التطبيق	الاعتماد على الاستبانة وحدها لا يكفي لقياس جميع أبعاد إدارة المخاطر	دمج المقابلات أو تحليل الوثائق كان سيعزز التفسير
الصدق والثبات	استخدام إجراءات إحصائية مناسبة للتحقق من جودة الأداة	التركيز على المؤشرات الإحصائية دون مناقشة الصدق المفاهيمي	الربط بين القياس والبناء النظري كان سيزيد قوة الدراسة
جمع البيانات	إجراءات واضحة وتنظيم جيد في التطبيق	لم تناقش الدراسة أثر تحيزات الاستجابة أو ظروف التطبيق	تحليل العوامل المؤثرة في البيانات يعزز مصداقية النتائج
التحليل الإحصائي	26 واختبارات مناسبة لطبيعة البيانات SPSS استخدام	ركز على الدلالة الإحصائية أكثر من الدلالة الإدارية	تفسير النتائج في ضوء النظرية كان سيمنحها قيمة علمية أكبر
تكامل المنهجية	يوجد انسجام عام بين المشكلة والأهداف والمنهج والأداة	غاب النموذج التفسيري الذي يوضح آليات التأثير بين المتغيرات	كان يمكن بناء إطار تفسيري أكثر عمقاً



Thank You